فترى منها مرآة مستديرة أو شبه مستديرة ، مصقولة المحيّا ، زرقاء الصبغة ، مخضرة الحواشي ، تحيط بها أغصان الشجر ، ومن خلال الأغصان تبص عيون المغانى والفنادق والمشارب من بعيد ، كأنها تختلس النظر إلى تلك المرآة السحرية الصافية ، تحاول أن ترى نفسها فيها ... ومن فوق ذلك كله جبال عاتية تشمخ ، يتوج هاماتها قاصعات الثلوج ! ...

وينتهى بك السير إلى جزيرة « الليدو » ... وما أحراها أن تسمى « الجزيرة العذراء » ... جزيرة صغيرة تقوم وسط البحيرة في جرأة ، لا تبالى من شيء ... إنها متوحدة مستوحشة ، فَقُور ... أجزيرة هى حقاً تتصل أرضها بقرار النهر ، أم مجمع أشجار تكاثفت فكانت دغلا طافياً على متن الماء ؟ ... ما أشبهها بالمحقل المنيع ، فإن نباتها ليتعانق ويتماسك ، حتى لا يدع لمقتحم مسربا إليه ، ليتعرف ما يحويه ... وإنك لترى المستحمين زرافات وفرادى سابحين أو ممتطين الزوارق الخفاف ، يطوفون حول هذا الدغل متصايحين ، ولكنهم لا يجسرون أن يقاربوه ، فهم يقنعون منه بهذا الطواف ، كأنه مارد جبار ، يستشعرون له مزاجا من الرهبة والتقديس ! ...

وتستأنف سيرك ، حتى توشك أن تستكمل حول البحيرة